8

الفاجومى

مـــصـــــرتانى

- وزير الشئون الاجتماعيه عزمنى على فنجان قهوه في مكتبه وأصبحت موظف في السكه الحديد في الزقازيق.
- نقلت إلى مصلحة البريد وتم توزيعي على أبو زعبل.
- نقلت إلى ورش النقل الميكانيكى ومنها إلى سجن أرميدان ١٩٥٩.

■■■

obeikan.com

obeikan.com

فى شارع القصـر العينى وفى مبنى وزاره الشئون الاجـتماعيه طوابيـر من العمال يقفون أمام الشبابيك.. ولما جه دورى سألنى موظف الشباك:

- معاك ما يثبت إنك كنت بتشتغل فى معسكرات الجيش الإنجليزى؟

قدمت له جريده المصرى عدد ١٢/ ١٠/ ١٩٥١.

بص فيه بقرب وقال لى:

- ده تقدمه لأهل العروسه.. معاك ورق رسمى؟

قلت له:

- أنا اللى اتقال اسمى فى نشره الأخبار ضمن....

قاطعنى:

- إنت حتحكى لى قصه حياتك؟ يا أستاذ ماتعطلناش.. اللى بعده.

ولقيـتنى ضايع فى شـوارع مصـر المحروسه.. أروح فين؟ لأ أجى مـنين.. أعمل إيه؟! دنا حتى ماأقدرش أرجع تانى وسيد الخولى هناك.

وفجـأه على رأى أحمـد القصيـر تذكرت بعـثة جريده المصـرى فمكدبتش خـبر سألت عن جـريدة المصرى قالولى جنبك أهـه فى شارع القصـر العينى.. رحت على هناك سـألت عن الأسـتـاذ مـحـمـود شكرى قـالولى مـسـافـر السـويس هو وعلى الديروطى.

- طب الأستاذ على جمال الدين الطاهر.

قالولى فى مكتبه دخلت عليه الراجل عرفنى وقابلنى بالأحضان حكيت له خيبتى ضحك وطلب لى القهوه وكتب لى جواب حطه فى ظرف مـفتوح باسم «عبد الفتاح حسن باشا - وزير الأوقاف».. وقال لى:

- حتروح تسلم الجواب ده فى مكتب الوزير وتشوف حـيعملوا معاك إيه وتيجى تقول لى.. أنا مش حـ أروح أنا مستنيك.

كانت الساعه حداشر بالليل ضحكت وقلت له:

- حتستنى هنا لبكره؟

قال لى:

- لأ.. روح دلوقتى الوزاره فاتحه والوزير هناك.

وكانت مـقابلة الوزير لى هى المفاجأه.. أنا سـلمت الجواب لمدير المكتب وفكرت أمشى وآجى الصبح وفوجئت بعبد الفتاح حسن باشا بمجرد دخول مدير المكتب عليه خارج لاستقبالى وهو بيقول لى:

- أهلاً بالبطل.

وخدنى من إيدى على جوا المكتب شـربت معاه فنجان قهوه وأثناء شـرب القهوه سألنى:

- تحب تتوظف فين؟

قلت له:

- أنا من الزقازيق.

وفى خـلال خمس دقـايق انكتب الجواب ووقع عليـه الوزير وصرف لى مـرتب شهر كامل وقال لى:

- إنت من النهارده موظف فى السكه الحديد فى الزقازيق.

ودى كانت نهاية مرحله وبداية مرحله جديده فى حياة الفاجومى.

●●●

المحترم اللى قـال «الغربال الجديد له شَدَّه» قـال نص الحقيقه وسـاب الحدق يفهم النص التانى اللى هو إن الغربال لما بيقدم بيرهرط ويترخى ويبقى زى ندل ابن عروس ميت وهو حى ماحد يحسب حسابه زى الترمس النى.. حضوره يشبه غيابه.

وهو دا بالظبط اللى حصل لعمال الكنال التمانين ألف إياهم.

الأول استقبال الأبطال بالأحضان يا بلدينا.. والكتف دا زاد والكتف دا ميه والوداع لمن عاش يا عربه.. البلد بلدنا والحكم حكمنا.. والنيل امبو.. وحنشرب منه كلنا.. وعمار يا مصر يام الفدائيين والعمال الوطنيين.

وفجأه ضربت الخيانه ضربتها والضربه جت فى الصميم.. حرقوا القاهره.. وخلوا النحاس باشا يعلن الأحكام العرفيه بنفسه.. وبعدين طردوه عشان يستفردوا بالشعب المصرى ويأدبوه.. قفلوا الصحف الحره واعتقلوا فرسان القلم وقبضوا ع الفدائيين.. واعتبروا إلغاء معاهده ١٩٣٦ وما ترتب عليه.. لاغى! يعنى إحنا التمانين ألف عامل كَلْنا الأونطه واتشعلقنا فى الحبال الدايبه.. واللى أكد الظن ده سوء المعامله.. مش من الإداره وبس لأ.. من زملائنا العمال الأصليين.. فهموهم إن احنا جايين ناكل لقمتهم.. وبدأنا نسمع تعبير جديد من رؤسائنا المصريين.. اسمه العمال الزايدين عن الحاجه.. إحنا يعنى بقينا زايدين عن الحاجه وجايين نخطف اللقمه الحاف من بق عمال الحكومه.. وفى الزقازيق قال الحاج أحمد حنفى ملاحظ قسم عربات السكه الحديد فى الزقازيق قال لى:

– انتوا رحتوا ولا جيتوا شويه صبع هفأ.. خنتوا بلدكوا ورحتوا اشتغلتوا عند لنجليز ولما عرفتوا إن لنجليز حيخرجوا جيتوا تقرفونا وتزاحمونا فى أكل عيشنا.

قلت له:

– إنت متأكد إن لنجليز حيخرجوا؟

قال لى:

– الكلام فى السياسه ممنوع هنا.. اتفضل روح شغلك.

يا ولاد الكاااالب.

طيب يا صبر طيب.

كنا بنتلم كلنا فى بيت عيد زميلنا وماكانش لنا كلام إلا فى موضوع الزايدين عن الحاجه.. بعضنا قرر العوده إلى معسكرات الانجليز والبعض التانى ودا الأغلبيه رفض الفكره من أساسها وبشده.

لكن التصعيد فى سوء المعامله والتصريحات الرسميه ضد عمال الكنال زادت بشكل ملموس وسببت لنا القلق والتوتر ودا انعكس على علاقتنا حتى ببعض.

صرخ عبد المطلب فى وشنا واحنا قاعدين عند عيد:

- كلب ابن كلب حيكلمنى عن الوطنيه والكلام الفارغ ده ح اضربه باللى ف رجلى كفايه كلام بقى.. بيوتنا خربت وعيالنا جاعت واتشردنا والآخر طلعنا زايدين ع الحاجه.

●●●

وذات صباح جميل زى ما بيقولوا فى الروايات.. صحيت مصر على صرخه المولود اللى شق جوف الضلمه زى الأدان.. الله أكبر.. الله أكبر.. الملك لك يا صاحب الملك.. ولا مُلْك إلا لك.

وصلت ورشه عربيات السكه الحديد لقيت العمال متجمعين حوالين الراديو وبيسمعوا بيانات حركه الجيش.. كانت الفرحه ماليه القلوب وطافحه ع الملامح.. كله كان فرحان.. عمال كنال.. وعمال أصليين.. كل المظلومين كانوا فرحانين حتى عبد العزيز أخويا كان فرحان.. تصوروا!

●●●

مؤقتًا اتحلت مشكله عمال الكنال لكن فضل تعبير الزايدين عن الحاجه ينغص علينا حياتنا بالنهار ويحرمنا لذيذ المنام بالليل.. وأخيرًا تم التخلص من حوالى تسعين فى الميه من عمال الكنال وتم توزيعهم أو تشتيتهم فى بلاد الله.

أنا شخصيًا تم تشتيتى إلى مصر المحروسه فى مصلحه البريد اللى شتتنى على أبو زعبل واشتغلت هناك طواف وكانت دى تانى مره أزامل حمار فى الشغل.. المره

الأولى كـانت فى تفتيش الملك زاملت الحـمار مـجـدى والمره دى زاملت الحمـاره عزيـزه اللى كانت عـارفه طريق صناديق البـريد فى العزب والكـفور والبلاد وأنـا ما علىَّ إلا آخد بصمه الختم من كل صندوق وتوزيع الجـوابات على أصحابها واستلام الجوابات المرسله من صناديق المنطقه وأخيراً اتشتت إلى ورش النقل الميكانيكى ودى كانت آخـر جهه حكومـيه أشتغل فـيها لأنى خـرجت منها على سجن أرمـيدان سنه ١٩٥٩ متهم بالتزوير.. إزاى؟

●●●

الرزق يحب الخفيـه وورش النقل الميكانيكى فيها حـوالى ٨٠٠ عامل وموظف.. وكلهم بيخرجوا ساعه الضهريه ساعه ونص للغدا والراحه.. حيروحوا فين؟

حوالين الورش مـجمـوعه من الأكشـاك الخشـبيه اللـى بيبيع سندوتـشات واللى بيعمل شـاى وقهوه واللى بيبيـع جرايد وظروف جوابات وعرضحـالات دمغه وكله بيبيع شكك وكله بيستنى أول الشهر وشـده المنافسه بينهم خير وبركه على رأى المثل «اتخنقوا الحمَّاره مـن حظ الركيبه».. فى أول الأمر كنت باطلع ساعـه الغدا أقعد فى أقرب كشك.. لكن صديقى سَمَنْطَرْ قال لى:

– إنت ليه بتقعد عند الراجل المعفن ده؟

قلت له:

– مش فارقه.

قال لى:

– لأ..معفن عن معفن يفرق.

قلت له:

– يفرق إيه؟

قال لى:

– أولاً أم جميل حاجتها أنضف وبعدين غلبانه بتربى أيتام وبعدين وده المهم بتسلف فلوس.

قلت له:

– لأ.. كده تبقى فرقت شويه.

قال لى:

– السبعين قرش بجنيه.. يعنى التلاتين قرش دول هما الحسنه المستخبيه.

قلت له:

– وإيه تانى؟

ضحك وقال لى:

– المسأله التانيه دى إنت وشطارتك بقى.. ومين عارف.. الرك ع النصيب.

قلت له:

– إنت بتتكلم عن إيه؟

قال لى:

– إطلع من دول يا لئيم.. بقى يعنى إنت ما سمعتش عن نوال بنت أم جميل؟

●●●

صديقى سمنطر عامل قديم فى ورش النقل الميكانيكى جمعنا سوا حب النادى الأهلى وكنا بنزوِّغ يوم ماتشات الأهلى ونروح الملعب سوا.. ونخرج من الملعب على بيتهم فى عابدين وكان هو ساكن مع أمه فى أوضه تحت السلم وكان إنسان مخلص ومريح زى ما بيقولوا صاحب صاحبه.. أول مره رحت معاه عند أم جميل ساعه الغدا قدمنى ليها:

– أنا جايب لك أجدع راجل فيك يا نقل يا ميكانيكى.. الأستاذ نجم رئيس الوارد والصادر فى الأرشيف (مافيش حاجه اسمها كده خالص).

كانت مـرا فلاحـه والهم كبرها.. كـانت فى حدود الأربعين لكن تشـوفهـا تقول الخمسه والخمسين.. بصت لى من فوق لتحت وقالت لسمنطر:

- باين عليه ابن حرام زيك.

ضحك وقال لها:

- أمال أنا مصاحبه ليه؟!

قالت له:

- حتتغدوا؟

قال لها:

- على حسابى.. دا راجل خيره علىَّ (ماحصلش).

قالت له:

- طب استنوا زمان نوال جايه بالغدا والنهارده الغدا علىَّ.

مـاكملتش الكلام إلا ونوال جـايه وشايلـه شنطه قمـاش بإدين خشب فـتحـتهـا وبدأت تطلع منها الحلل والعيش والطرشى.. إلخ.

هى منهمكه فـى تحضير المسـائل وأنا عينى مـانزلتش من عليها.. حـاجه سبـحان الخلاق العظيم.. شكل زهره القرنفل وحـراقه زيها.. لكن الفقر كاسر نفـسها ومدبل الأنثى جواها.. كانوا عاملين محشى كرنب وأنا ضعيف جداً قدام محشى الكرنب.. فاعتبرت إن دا نوع من التكريم الشخصى ونزلت ع المحشى حَتَتَكْ بَتَتَكْ بشكل لفت نظر أم جميل فقالت لى:

- حيلك شويه، إنت قايم من فُم عيا؟

قالت لها القرنفلايه:

- سيبيه ياكل يامه بألف هنا وشفا.

قلت لها:

- إنتى اللىّ عامله المحشى ده يابت؟

ضحكت وقالت لى:

- لو عجبك أعمل بكره تانى.

قالت لها أمها:

- ياخى عملك أسود إنتى وهو.

قالت لها:

- بعد الشر عليه.. إن شاالله اللى يكرهوه ويتمنوها له.

إدينى عقلك يا محترم؟ أنا عقلى شت من مطرحه.. رحت ماسك صباع محشى ومديهولها فى بقها.. راحت واكلاه ومناولانى صباع فى بقى.. بصيت على سمنطر لقيته مبتسم وخجلان لكن ملامحه كلها سعاده.

وقالت أم جميل وهى مذهوله:

- شوف البت بنت الكلب بتأكله فى بقه واحنا قاعدين.

قال لها سمنطر:

- ياللا بينا نسيب لهم الجو أحسن كده بقى شكلنا زى العوازل الأرذال.

قالت له:

- حتى إنت كمان يا سمنطر؟ يا خيبه أملى فيك!

عرفت بعد كده إن أم جميل متجوزه الأسطى محمد المصرى سراً وإنه ماكانش موافق على علاقتى بنوال لأنها ماجاتش عن طريقه وذات ليله عزمتها على السينما لكن أمها رفضت إنها تخرج معايا وقالت لى:

- لازم تستأذن م الأسطى محمد.

وقالت نوال:

- ليه؟ هو كان أبويا؟

قالت لها:

- اللى مالوش كبير بيشترى له كبير ياروح أمك.

قالت لها:

- وأنا كنت اشتريته إمتى ده؟

المسأله اتطورت أكتر بسرعه.. وأنا بصراحه ماكانش عندى مانع إنى أتكلم مع الأسطى محمد المصرى باعتباره رب الأسره لكن نوال أصرت على الرفض واعتبرت إن مجرد تفكيرى فى الموضوع بالشكل ده يعتبر انتقاص من رجولتى اللى هى بتعتز بيها! مش عارف ليه؟!

كان فيه إداره عموم الورش مجموعه من السعاه والفراشين كان أبرزهم يوسف ساعى المدير.. دمه خفيف جداً وعلاقته بالموظفين والمهندسين خاصه جداً.. دا بياخد منه حشيش ودا بياخد منه عطاره لزوم الباه.. ودا بيطلب منه سباك كويس ورخيص وابن حلال.. ودا بيكلفه بالبحث عن شقه يجوِّز فيها بنته ولا ابنه.. وهكذا.. وغير كده وكده عنده أسرار العلاوات والتنقلات والمؤامرات.

يوم جمعه نزلت على سمنطر فى عابدين عشان نتغدى ونروح الماتش لقيت يوسف هناك أول ما شفنى قال لى:

- أهلاً بعريس الهنا.

قال له سمنطر:

- يسمع منك ربنا.. عايزين نلمه بقى يابو حجاج.. كلام الناس كتر.

قال لى:

- إنت لك شوق فى نوال؟

قلت له:

- إنت إيه رأيك؟

قال لى:

- يازين ما اخترت.. دى بنت يتيمه وغلبانه والمثل بيقول «خدوهم فقرا تشحتوا سوا».. وضحك.

قلت له:

- العين بصيره.. والإيد قصيره يابو حجاج.

قال لى:

- فتّح مخك تاكل ملبن يا أستاذ.

قلت له:

- يعنى إيه؟

قال لى:

- يعنى الدنيا اللى إنت شايفها قدامك دى.. كلها كدب فى كدب كل ما تعرف تكدب كل ما تقدر توصل وتعيش على شوقك.

ضحك سمنطر وقال لى:

- ماتمشيش ورا يوسف ليسوّحك.

بعد يومين عزمنى يوسف ع العشا فى بيته وأثناء ما احنا ماشيين قال لى:

- تعالى نعمل مذكره فى قسم الضاهر.

قلت له:

- مذكره إيه؟

قال لى:

- إنت مش عايز تتجوز نوال؟ إعمل اللى ح قولك عليه بدون سؤال.

ودخلنا قسم الضاهر وعملنا مذكره بفقد بطاقتى الشخصيه.. وتانى يوم خدنى

يوسف ورحنا محل فى شـارع الجمهوريه عـلى ما أذكر وصرفنا اسـتمارتين أقمـشه بمبلغ ١٤٠ جنيه.. وخد يوسف البضاعه ومشى تانى.

يوم قابلنى فى الشغل وادانى تلاتين جنيه ودا أكبر مـبلغ مسكته فى حياتى وكررنا الحكايه دى تلات مرات من محلات مختلفه.

ويوم خميس كنت رايح ليوسف فى بيته اللى فى الشرابيه حوالى الساعه ٨ مساء وفـوجئت وأنا طالع السلم بمجـمـوعه من رجـال البوليس نازلين وأول مـا شافـونى سألونى:

- إنت عايز مين هنا؟

قلت لهم:

- عايز يوسف عبد القادر.

قبضوا علىَّ وخـدونى على قسم الضاهر فى مكتب معاون المباحث منيـر محيسن ودا حيبقى له معايا حكايات تانيه وجابو يوسف متعلق من رجليه ونزلوا عليه ضرب بجنون بالخزران والشوم والكرابيج.. كانوا حوالى سته مخبرين ومنير بيه بيضربوا فيه بوحشيه علشان يعترف وهو بيئن من الألم وصرخت فى وش الظابط:

- بس.. كفايه يا كفره.. أنا ح اقول لكو على كل حاجه.

وفوجئت بيوسف بيقول لى:

- ليه كده الله يخرب بيتك.

●●●

تلات سنين قضـتهم فى سجن أرميـدان بتهمه التـزوير غيروا خط سيـرى وقلبوا حياتى وخلقوا منى كائن جديد.. كائن إيجابـى بقى له اهتمامات عامه تأثر بيها وأثر فيها فى حدود إمكانياته.

تلات سنين اكتشفت فـيها الشاعر اللى أصبح بعـد كده حديث الناس من المحيط للخليج أو فى أى مدينه أو قريه على كوكب الأرض فيها ناس بيتكلموا عربى.

■■■